العقيدة وموقعها في الفكر البشريّ

الشيخ فلاح العابدي*

الخلاصة

يحتــوي الفكر البشريّ على كمٍّ هائلٍ من المفاهيــم والقضايا المتعلّقة بمختلف الموضوعات، ولأجل صحّة الاســتفادة منها، اهتمّ الحكمــاء والباحثون بتصنيف قضايا الفكر البشريّ إلى مجموعة علومٍ بحســب موضوعاتها وحيثيّة البحث فيها، وحاولوا اكتشــاف الترتّب الطبعيّ بين تلك العلوم على حســب ترتب موضوعاتها؛ للخروج بمنظومةٍ معرفيّةٍ مترابطةٍ، فيها ما هو ســابقٌ وما هو لاحقٌ بحسب الواقع ومقام الثبوت، أو بحسب التعليم ومقام الإثبات، ولا شكّ أنّ من بين تلك المفاهيم والقضايا ما هو متعلّقٌ بتصوّرات الإنسان ورؤيته عن علّة العالم وصفاتها وأفعالها، وهو الّذي تمّ تصنيفه باسم الرؤية الكونيّة أو العقيدة، ونحن في هٰذه الصفحات نريد أن نبيّن مفهوم العقيدة وموقعها في هٰذه المنظومة المعرفيّة الإنســانيّة، ومرتبتها بين مجموع علومها.

(*) الدكتور فلاح سبتي، العراق، أستاذ مساعد في قسم الفلسفة، جامعة المصطفى العالمية.

falahsaad@yahoo.com

المفردات الدلاليّة: العقيدة، الرؤية الكونيّة، الفكر البشريّ، الحكمة النظريّة، الحكمة العمليّة.

مفهوم العقيدة

العقيدة في اللغة مصدرٌ أو اسم مصدرٍ للفعل اعتقد، يعتقد، اعتقادًا وعقيدةً، وهو فعــلٌ مزيدٌ أصله الفعل عَقَدَ، والعَقد في اللغة ما يقابل الحَلّ، يقال: عقدت الحبل، فهو معقودٌ، وكذٰلك العهد، ومنه عُقْدَةُ النكاح؛ وانعقَدَ عَقْدُ الحبل انعقادًا. [ظ: ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 296، مادّة عقد]

وقد اســتعملت كلمة الاعتقاد بمعنى ما يعقد عليــه القلب، أي الأمور الّتي يعتقد بها الإنســان، قال الطريــحيّ: «واعتقدت كذا: أي عقــدت عليه قلبي وضميري. وله عقيدةٌ حسنةٌ: أي ســالمةٌ من الشكّ» [ظ: الطريحيّ، مجمع البحرين، ج 3، ص 106].

وأمّا اصطلاحًا:

فالاعتقاد يستعمل بمعنيين: أحدهما التصديق الجازم المطابق للواقع الثابت، وهو ما يسمّى باليقين بالمعنى الأخصّ.

والثاني: هو مطلق التصديق، الّذي يشــمل المعــنى الأوّل بالإضافة إلى الظنّ والجهل المركّب والعلم المستفاد من التقليد، ويسمّى عند بعض المتأخّرين باليقين بالمعنى الأعمّ.

قــال العلّامة الحلّيّ: «والتحقيق هنا أن نقول إنّ الاعتقاد أحد قســمي العلم؛ و ذٰلك لأنّــا قد بيّنّا أنّ العلم يقال على التصــوّر وعلى التصديق كأنّه جنسٌ لهما، والاعتقاد هو التصديق وهو قسمٌ من قسمي العلم» [الحلّيّ، كشف المراد، ص 235].

وقال الاســترابادي: «المــراد أنّ الاعتقاد يطلق على التصديــق الّذي هو أحد قســمي العلم؛ وذٰلك لأنّا قد بيّنّا أنّ العلم يقال على التصوّر وعلى التصديق؛ لأنّه

جنسٌ لهما، والاعتقاد هو التصديق، وهو قسمٌ من قسمي العلم. ولٰكن لا يخفى أنّ التصديق ـ الّذي جعله المصنّف أحد قسمي العلم ـ كان مقيّدًا بكونه جازمًا مطابقًا ثابتًا ـ أعني اليقين، والاعتقاد يطلق على مطلق التصديق جازمًا كان أم لا، مطابقًا كان أم لا، ثابتًا كان أم لا» [الأسترابادي، البراهين القاطعة، ج1، ص 430].

كما تستعمل العقيدة والعقائد في الأمور الّتي يتعلّق بها الاعتقاد، وهي تلك القضايا الّتي يطلب التصديق بها لأجل الاعتقاد نفسه، أي أنّ الكمال المتحصّل بها هو أن تكون من معتقدات الإنسان، وشاع في الاستعمال أنّك حينما تسأل شخصًا عن عقيدته، فإنّك تقصد بذٰلك الأمور الّتي يعتقد ويصدّق بها، وعندما تقول مثلًا: (كتب العقيدة) فإنّك تقصد بها الكتب الّتي تبحث في الأمور الّتي تطلب لأجل الاعتقاد بها، ويطلب من الإنسان أن يصدّق بها ويعتقدها، قال الجرجاني: «العقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل» [الجرجاني، التعريفات، ص66].

نعم قد لا يترتّب عليها عملٌ بشكلٍ مباشرٍ، إذ إنّ المطلوب فيها والكمال المترتّب عليها هو التصديق بها، ولٰكن قد تستلزم العمل بشكلٍ غير مباشرٍ، كمن يعتقد بوجود الله ـ تعالى ـ وأنّ لديه تشريعاتٍ عمليّةً يطلب من العبد امتثالها بنحوٍ جزميٍّ، فإنّ مثل هٰذا الاعتقاد يحتّم على العبد أن يلتزم بتلك التشريعات عملًا.

وهٰذا المعنى الأخير هو الّذي نقصده في هٰذا المقال، وينبغي على الإنسان أن يحصل على مرتبة اليقين بالمعنى الأخصّ الّتي تقدّمت في الأمور الّتي يريد أن يتّخذها معتقدًا له.

الفكر البشريّ

الفكر في اللغة هو اسمٌ للتفكّر والتأمّل، قال الفراهيديّ: «الفكر: اسم التفكّر. فكّر في أمره وتفكّر. ورجل فكّيرٌ: كثير التفكّر. والفكرة والفكر واحدٌ» [الفراهيديّ، كتاب العين، ج 5، ص 358].

وقال الجوهريّ في مادّة (فكر): «التفكّر: التأمّل. والاسم الفكر والفكرة.

والمصدر الفكــر بالفتح... ورجل فكّيرٌ، مثال فســيق: كثير التفكّــر» [الجوهريّ، الصحاح، ج 2، ص 783].

وأمّــا في الاصطلاح المنطقيّ فهي تســتعمل بمعنى عمليــة التفكير، كما قال الجرجانيّ: «الفكر: ترتيب أمورٍ معلومةٍ للتأدّي إلى مجهولٍ» [الجرجانيّ، كتاب التعريفات، ص 155]. وقــال الطوسيّ: «هو حركةٌ من جملة الحركات المذكورة، تتوجّه النفس بها من المطالب، متردّدةً في المعاني الحاضرة عندها، طالبةً مبادي تلك المطالب المؤدّية إليها، إلى أن تجدها، ثمّ ترجع منها نحو المطالب» [الطوسيّ، شرح الإشارات والتنبيهات، ج 1، ص 11]. وتســتعمل في الزمن الحاضر كثيرًا بمعنى نفس الفكرة، وهي المعقولات والأفكار الّتي يملكها الإنسان، قال الدكتور جميل صليبا: «وجملة القول إنّ الفكر يطلــق على الفعل الّذي تقوم به النفس عنــد حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفســها... وإذا أطلق على المعقولات دلّ على الموضــوع الّذي تفكّر فيه النفس، وهو مرادفٌ للفكرة» [صليبا، المعجم الفلسفيّ، ج 2، ص 156].

وهٰــذا المعنى هو المقصود في هٰذا البحث، حيــث إنّ المراد من الفكر البشريّ هو جميع الأفكار والمعقولات الّــتي يحملها الذهن البشريّ عن مختلف الموضوعات ومن مختلف الطرق والمناشــئ، إذ لا يشــكّ أحدٌ في أنّ الإنسان يختلف عن بقيّة أنواع الحيوانات، فالملاحظ من خلال نمط حياته الّتي يعيشــها وسلوكه فيها أنّه متقدّمٌ ومتطوّرٌ بدرجةٍ كبيرةٍ، فهو الّذي اكتشــف قوانين الطبيعة عبر العصور، وأسّــس لمختلف العلوم الطبيعيّة كالفلك والفيزياء والكيمياء والطبّ والهندسة وغيرها، واســتفاد منها لراحته وتوفير احتياجاته الحياتيّة؛ لذٰلك اختلفت أنماط حياته وتطوّرت عبر الزمن، حتّى وصل إلى ما وصل إليه من الرقيّ والتقدّم الحياتيّ، بينمــا نلاحظ أنّ بقيّة الحيوانات ظلّت تعيش على النمط الّذي كانت عليه منذ أن وجدت على هٰذه الأرض، وإذا ما كان هناك تطوّرٌ فهو بسيطٌ للغاية لا يكاد يذكر.

كما أنّ الإنســان فكّر منذ البدء بإيجاد نظامٍ قانونيٍّ ـ ولو بنحوٍ بسيطٍ ـ يحكم حياته الاجتماعيّة ويضبط حركتــه؛ لأجل حفظ الحقوق وتعيين الواجبات على كلّ

فردٍ من أفراد الجماعات الّتي كانت تعيش معًا، ثمّ طوّر هٰذا الأمر كثيرًا ليكوّن الإمبراطوريّات والممالك والبلدان.

ونجد كذٰلك أنّ الإنسان تأمّل وفكّر في وجود هٰذا الكون بكلّ دقائقه، وحاول أن يعرف مبدأ وجودها ويكتشف عللها القريبة والبعيدة، ونجده قد استجاب لدعوة الأنبياء واهتدى بهداهم وسار بنهجم، لمّا رأى أنّ دعوتهم تنسجم مع متطلّبات فطرته ـ الّتي عجز عن تأمينها من خلال قواه الإدراكيّة والمعرفيّة ـ وتجيبه عن الأسئلة الملحّة الّتي كان يسعى وراء إيجاد أجوبةٍ مقنعةٍ لها.

لعلّ السرّ في هٰذا واضحٌ لكلّ متأمّلٍ، وهو يكمن في ما آتاه الله من قوّةٍ على التفكير والانتقال من مجموعة المعلومات الحاضرة لديه؛ ليصل من خلالها إلى معلوماتٍ كانت غائبةً عنه، فلا شكّ أنّ الفكر البشريّ بكلّ أبعاده ونتاجاته وليد عملية التفكير هٰذه.

أبعاد الفكر البشريّ

بعد أن آمن الإنسان بثبوت أصل الواقع، وأنّ العالم الّذي يعيش فيه هو عالم حقائق لها وجوداتٌ تختصّ بها، وبعد أن عرف أنّه قادرٌ على إدراك هٰذا الواقع بنحوٍ مفيدٍ، وأنّ العلوم الّتي يكتسبها عنه لها قيمةٌ معرفيّةٌ تتجلّى بقدرته على إدراك الواقع على ما هو عليه، وتمييزه للموجودات الحقيقيّة عن غيرها من الأمور الوهميّة والخياليّة والخرافيّة، وأنّه قادرٌ على تسخير الظواهر الطبيعيّة بمختلف أشكالها، والانتفاع منها في تطوير حياته وتحسينها، وتلبية متطلّبات معيشته، وأنّه قادرٌ على تحديد منهجٍ سلوكيٍّ تابعٍ لتحديد الحسن والقبح في الأفعال الّتي تصدر عنه؛ انفتح باب العلم والتعلّم عند الإنسان، وسعى جاهدًا لاكتشاف الواقع والتعرّف على حقائق الموجودات فيه، وتشعّبت لديه العلوم والمعارف، وقد حاول منذ الأوّل أن ينظّمها في مجموعةٍ من العلوم تبدأ بما هو كلّيٌّ، وينشعب عنه جزئيّاته وهٰكذا؛ لأجل أن لا تختلط عليه المسائل ومقدّماتها وطرق إثباتها.

وقــد أطلق الحكماء على مجمــوع العلوم الحقيقيّة(*) مصطلــح الحكمة، وقد عرّفوها بلحاظ الهدف المتحصّل منها بكونها: استكمال النفس الإنسانيّة بتصوّر الأمور، والتصديق بالحقائق النظريّة والعمليّة على قدر الطاقة البشريّة [ظ: ابن سينا، عيون الحكمة، ص 16]

حيث إنّ استكمال النفس إنّما يكون في قوّتيها: العالمة الّتي بها تدرك الأشياء، والعاملة الّتي بها تدبّر البدن، وكمال القوّة العالمة إنّما يكون في أن تدرك الأشــياء على مــا هي عليه في الواقع، وكمال العاملة إنّما يكــون بتدبيرها للبدن على الوجه الأصلــح، وذلك بأن تبتعد عن طرفي الإفراط والتفريط في أفعالها الإراديّة، وتبقى على الحدّ الوسط الّذي هو العدل. [ظ: الرازيّ: شرح عيون الحكمة، ج 2، ص 3]

وقد قسّــم الحكماء الفكر البشريّ بشــكلٍ عامٍّ إلى قســمين رئيسيّين: البعد النظريّ وسمّوه بـ (الحكمة النظريّة)، والبعد العمليّ وسمّوه بـ (الحكمة العمليّة)، يســبقها بعض العلوم الآليّة الّتي تبحث عن القواعــد العامّة للتفكير، وتحديد المنهج المعرفيّ والبحثيّ للعلوم.

أ. البعد النظريّ

العلوم النظريّة هي العلــوم المتعلّقة بالأمور النظريّة الّتي لنا أن نعلمها وليس علينــا أن نعمل بهــا، وهي تلك الأمور الّــتي وجودها ليــس باختيارنا وفعلنا، كالحيوانات والنباتات والجمادات والأفلاك، و يطلب بهٰذه العلوم اســتكمال قوّة

(*) وهٰذا في قبال العلوم الاعتباريّة المحضة كعلوم اللغة كالنحو والصرف والبيان؛ إذ تُوجَد موضوعاتها بالجعل والاعتبار المحض من قبل الواضع للّغة، وليس وراء اعتبارها أيّ مصلحةٍ واقعيّةٍ غير المصلحة الكلّيّة لوضع اللغات، وهي حصول التفاهم ونقل المعلومات بين أبناء البشر، أمّا لماذا جعل الفاعل مرفوعًا في لغة العرب والمفعول منصوبًا فهٰذا راجعٌ للوضع المحض، وليس وراءه مصلحةٌ واقعيّةٌ بخصوصه، إلّا ما قلنا من المصلحة الكلّيّة في حصول التفاهم وتمييز من صدر عنه الحدث عمّن وقع عليه.

الإدراك النظريّة من قوى النفس.

كما أنّ أقسام الحكمة النظريّة منها ثلاثة: هي الطبيعيّة والرياضيّة والإلٰهيّة؛ لأنّ البحث فيها إمّا أن يتعلّق بما فيه الحركة و التغيّر، وهو الأمور المادّيّة، وتسمّى حكمةً طبيعيّةً؛ وإمّا أن يتعلّق بما من شأنه أن يتمكن الذهن من تجريده، وإن كان وجوده مخالطًا للتغيّر، وهو الأعداد والخطوط والسطوح والمجسّمات، فتسمّى حكمةً رياضيّةً، و إمّا أن يتعلّق البحث فيها بما وجوده مستغنٍ عن مخالطة التغيّر والمادّة فلا يخالطه أصلًا، : وإن خالطه فبالعرض، لا أنّ ذاته مفتقرةٌ في تحقيق الوجود إليه، وهي الفلسفة الأوّليّة، والفلسفة الإلٰهيّة جزءٌ منها، وهي معرفة العلل العالية للوجود [ظ: ابن سينا، عيون الحكمة، ص 17]، وهنا نشير باختصارٍ إلى أقسام العلوم النظريّة:

1. العلوم المعرفيّة

وهي العلوم الّتي يستفاد منها القواعد العامة للتفكير الصحيح ويختصّ هٰذا بعلم المنطق، أو البحث عن المناهج والطرق المعرفيّة وحجّيّتها وحدود تلك الحجّيّة، ومعالجة حالات التعارض في معطياتها، وهٰذا ما يسمى حديثًا بعلم المعرفة. والكثير من مسائل علم المعرفة كانت متفرّقةً في أبواب علم المنطق وخاصّةً صناعة البرهان، ولٰكن وبعد الهجمة الشرسة الّتي تعرّضت لها المناهج المعرفيّة العقليّة والدينيّة في الغرب، وتغليب المنهج التجريبيّ عليها في كلّ العلوم ـ حتّى الإنسانيّة منها ـ دعت الحاجة إلى فرز مسائل المعرفة وبحثها بشكلٍ مستقلٍّ في علمٍ يسمّى بعلم المعرفة، أو نظريّة المعرفة.

وقد عدّ الشيخ الرئيس علم المنطق في ضمن العلوم الحكميّة [ظ: ابن سينا، إلٰهيّات الشفاء، ص 6]، فتدخل في قسمها النظريّ، قال صدر المتألّهين: «فظهر من هٰذا الكلام أنّ علم الميزان عند الشيخ من جملة أقسام الحكمة، فتكون داخلةً في الحكمة النظريّة؛ إذ من الظاهر أنّه ليس من أقسام الحكمة العمليّة بناءً على

التعريف والتقسيم المذكورين، وإن كان متعلّقًا بكيفيّة عملٍ، وغايته أيضًا ليست نفس الرأي والعلم، بل الإصابة في الفكر والعصمة من الخطإ، وقد علمت أنّه لا منافاة بين كون العلم نظريًّا وبين كونه متعلّقًا بكيفيّة عملٍ، كما لا ملازمة أيضًا بين كونه متعلّقًا بكيفيّة عملٍ وكونه علميًّا؛ فالمنطق يشارك سائر العلوم النظريّة في الموضع المشترك، ويخالفها في الغاية، ويوافق العلوم العمليّة في الغاية المشتركة ـ وهي نفس العمل، سواءٌ كان ذهنيًّا أو خارجيًّا ـ ويخالفها في الموضوع؛ لأنّ موضوعاتها الأعمال والأفعال الّتي بقدرتنا واختيارنا من حيث هي كذٰلك، وموضوعات المنطق المعقولات الثانية الّتي ليست بقدرتنا واختيارنا، ومن رام إدخاله في العمليّات فعليه أن يغيّر منشأ تقسيم العلم إلى العلميّ والعمليّ» [صدر المتألّهين، الحاشية على إلٰهيّات الشفاء، ج1، ص5].

2. العلوم الطبيعيّة

العلم الطبيعيّ له موضوعٌ يشتمل على كلّ الطبيعيّات، ونسبته إلى ما تحته نسبة العلوم الكلّيّة إلى العلوم الجزئيّة. وذٰلك الموضوع هو الجسم من حيث الحركة والسكون، والمبحوث فيه عنه هو الأعراض اللاحقة من حيث هو كذٰلك، لا من حيث هو جسمٌ مخصوصٌ. [ابن سينا، التعليقات، ص171]

وتخصّصاته ـ حسب تقسيم العلوم عند الحكماء في السابق ـ ثمانيةٌ: أوّلها: السماع الطبيعيّ، ويبحث فيه عن الأحوال العامّة للجسم المطلق، وثانيها: السماء والعالم، ويبحث فيه عن أحوال الأجسام البسيطة والحكمة في صنعها، وثالثها: الكون والفساد، ويبحث فيه عن أحوال عالم الكون والفساد، ورابعها: الآثار العلويّة، ويبحث فيه عن أحوال كائنات الجوّ والمركّبات الناقصة، وخامسها: المعادن، ويبحث فيه عن أحوال المركّبات الجماديّة، وسادسها: علم النبات، ويبحث فيه عن أحوال النبات، وسابعها: طباع الحيوان، ويبحث عن أحوال

الحيوان، وثامنها: النفس، ويبحث فيه عن أحوال النفوس [ظ: صدر المتألّهين، الحاشية على إلٰهيّات الشفاء، ج1، ص 6].

وأمّـا تخصّصاته الحاليّة فكثيرةٌ جدًّا بحسـب تطوّر العلوم وتشـعّبها، وكثرة الاكتشافات الحديثة فيها، ولعلّها قد توافق الأسماء القديمة لها أو تخالفها.

3. ما وراء الطبيعة

وهو العلم الّذي يبحـث فيه عن أحوال العلـل الأولى والعالية للموجودات، ويسـمّى أيضًا بالعلم الإلٰهيّ، قال الشريف الجرجاني: «العلم الإلٰهيّ: علمٌ باحثٌ عـن أحوال الموجودات الّتي لا تفتقر في وجودها إلى المادّة» [الجرجانيّ، كتاب التعريفات، ص67]، والعلـم الإلٰهيّ كما تقدّم جزءٌ من الفلسـفة الأولى الّتي يبحث فيها عن الموجود من حيث هو موجودٌ، فتشـمل جميع الموجـودات الإمكانيّة من حيث هي موجودةٌ، بالإضافة إلى الأمور العامّة الّـتي يكون البحث فيها كالمقدّمة في تحديد الأصول العامّة للاستدال في ما هو المهمّ فيها، وأعني العلم الإلٰهيّ.

والموجودات الّـتي لا تحتاج إلى المادّة في وجودهـا هي المجرّدات، وهي واجب الوجود والعقول عند الحكماء، أو الباري ـ سـبحانه وتعالى ـ والملائكة في لسان الشرع.

والبحث في هٰذا العلم في غاية الأهمّيّة؛ لأنّ نتائجه هي الأسـاس في بناء الرؤية الكونيّة حول وجود الكون والإنسـان، وتعطي الأجوبة عن الأسئلة المهمّة الّتي لا بدّ للإنسـان أن يعلمها بنحوٍ قطعيٍّ، وهي (من أيـن؟ في أين؟ إلى أين؟)، وبالتالي تبتني عليها أسس العقيدة الّتي يحملها الإنسان.

روي عـن الإمام الصادق أنّه قال: «إنّ أوّل الأمـور ومبدأها وقوّتها وعمارتها الّتي لا ينتفع شيءٌ إلّا بـه، العقل الّذي جعله الله زينةً لخلقه ونورًا لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنّهم مخلوقون، وأنّه المدبّر لهم، وأنّهم المدبَّرون، وأنّه الباقي

وهم الفانون، واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهـــاره، وبأنّ له ولهم خالقًا ومدبّرًا لم يـــزل ولا يزول، وعرفوا به الحســـن من القبيح، وأنّ الظلمة في الجهل، وأنّ النور في العلم، فهذا ما دلّهم عليه العقل» [الكلينيّ، أصول الكافي، ج1، ص29].

ولهذا نجد أنّ أصحاب الشرائع الحقّة قد اهتمّوا اهتمامًا بالغًا في إرشـــاد العقول وتنبيهها عن الغفلة في مثل هذه المسائل، بل عد ذلك من وظائف الأنبياء ، يقول أمير المؤمنين: «... فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهـــم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثـــيروا لهم دفائن العقول» [الرضيّ، نهج البلاغة، ج1، ص23].

وقال المجلسيّ معلّقًا عليه: «والإضافة في دفائن العقول بتقدير (في) أي العلوم الكامنة في العقول، أو بيانيّةٌ أي العقول المغمورة في الجهالات» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج11، ص61].

وقد اســـتفاد حكماء الإســـلام ومتكلّموهـــم من التنبيهات والإرشـــادات في النصوص الشرعيّة الشريفة من القرآن والســـنّة، قال ابن ســـينا في تعداد أقســـام الحكمة النظريّة: «وحكمةٌ تتعلّق بما وجوده مستغنٍ عن مخالطة التغيّر فلا يخالطه أصلًا، و إن خالطـــه فبالعرض، لا أنّ ذاته مفتقـــرةٌ في تحقيق الوجود إليه، وهي الفلســـفة الأوّلية، والفلسفة الإلهيّة جزءٌ منها وهي معرفة الربوبيّة، ومبادئ هذه الأقسام الّتي للفلسفة النظريّة مستفادةٌ من أرباب الملّة الإلهيّة على سبيل التنبيه، ومتصرّفٌ على تحصيلها بالكمال بالقوّة العقليّة على ســـبيل الحجّة» [ابن ســـينا، عيون الحكمة، ص17].

ب. البعد العمليّ

العلوم العمليّـــة هي المتعلّقة بالأمور العمليّة الّتي يجـــب أن نعلمها لأجل أن نعمل بها، وهي تلك الأمور الّتي يكون وجودها وتحقّقها باختيارنا وفعلنا، كالعدل والظلم والصـــدق والكذب والأمانة والخيانة، ويطلب في هذه العلوم اســـتكمال

القــوّة العاملة في النفس أوّلًا، بحصول العلم التصــوّريّ والتصديقيّ بأمورٍ ينبغي أن تكون أفعالنا مطابقةً لها؛ ليحصل منها ثانيًا استكمال القوّة العمليّة بأن تكون في اســتنباط ما ينبغي فعله عند العمل منفعلةً دائمًا عــن الإدراكات الكلّيّة للقوّة النظريّة(*)، فتكون الغاية من المعرفة العمليّة هي تكميل النفس بأن تعلم ما ينبغي عمله لتعمل به، وبتكرّر العمل به تحصل في النفس هيئاتٌ نفســانيّةٌ يسهل معها صــدور تلك الأفعال عنهــا على تلك الكيفيّة؛ حتّى تتمكــن من النفس ملكاتٌ راسخةٌ وأخلاقٌ ثابتةٌ، فلا تنفعل النفس عن مقتضيات القوى الشهويّة والغضبيّة والوهميّة، وتحصل فيها هيئةٌ استعلائيّةٌ على البدن وقواه الحيوانيّة، وتحصل للنفس ملكة العدالة الّتي هي الغاية القصوى للحكمة العمليّة.

والعلوم العمليّة على ثلاثة أقســامٍ أيضًا؛ لأنّها إمّا أن تتعلّق بتعلّم الآراء الّتي ينتظم بها المجتمع العامّ، وتســمّى بعلم السياسة أو تدبير المدينة؛ أو بتعلّم الآراء الّتي ينتظم بها المجتمع الخاصّ، ويســمّى بتدبير المنزل؛ أو بتعلّم الآراء الّتي ينتظم بها حال الشخص من حيث هو شخصٌ في تزكية نفسه، ويسمّى بعلم الأخلاق.

قال ابن سينا: «ومبدأ هٰذه الثلاثة مستفادٌ من جهة الشريعة الإلٰهيّة، وكمالات حدودها تستبين بالشريعة الإلٰهيّة، وتتصرّف فيها بعد ذٰلك القوّة النظريّة من البشر بمعرفة القوانين العمليّة منهم، و باســتعمال تلــك القوانين في الجزئيّات» [ظ: ابن سينا، عيون الحكمة، ص 16].

موقع العقيدة في هٰذا الترتيب

يتّضح ممّا ســبق أنّ العقيدة ببعديها العقليّ والدينيّ تقع في قمّة العلوم النظريّة شرفًــا؛ لأنّ شرف العلم يكون بشرف معلومــه وموضوعه، وعلم العقيدة يتعلّق بأشرف موجودٍ على الإطلاق وأكمله، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته وأفعاله،

(*) هٰذا بناءً على ما هو المشهور عند الحكماء، فالعقل العمليّ هو قوّةٌ مدركةٌ ومحرّكةٌ، ولٰكنّ مدركاته جزئيّةٌ عمليّةٌ دائمًا؛ لأجل أن تكون مبدأً علميًّا محرّكًا للإنسان في أفعاله الاختياريّة.

فهــو متقدّمٌ على كلّ العلوم ثبوتًا، أي من حيــث الواقع، فموضوعه متقدّمٌ على كلّ المواضيع من الناحية الواقعيّة؛ إذ إنّه المبدأ والموجد لها جميعًا.

نعم قد يتأخّر من الناحية الإثباتيّة، ونســق العلــوم في النظام التعليميّ، وقد تقدّم أنّه يقع من الناحية العقليّة في العلم الإلٰهيّ الّذي تتقدّم عليه العلوم المعرفيّة والطبيعيّــة، فمن هٰذه الجهة يتأخّر عن بعض العلوم الّتي تدخل في إثبات مبادئه، كالعلوم المعرفيّة وبعض مسائل العلوم الطبيعيّة؛ إذ إنّ التدرّج المنطقيّ في التعليم يفرض مثل هٰذا التأخّــر؛ لأنّ كلّ شيءٍ يتأخّر عن مبادئه، وعلم العقائد ونتائجه تفرض على الباحث في مختلف العلوم منهجًا مختلفًا إذا أخذت بالحســبان، عمّا لو أهملت وغضّ الطرف عنها، فمن يرد الوصــول إلى تحديد ومعرفة المبادئ العليا للموجودات، لا بــدّ له أن يعرف كيف يمكن له أن يكمل التحقيق في العلم الّذي هو متخصّصٌ فيه ليصل إلى ذٰلك، فإنّ أرسطو طاليس مثلًا عندما كان منشغلًا في العلم الطبيعيّ والبحث عن الحركة في الأجســام، توصّل إلى أنّ جميع حركات عالم الطبيعــة لا بدّ أن تنتهي إلى محرّك لا يتحرّك، وقــد اقتصرت معرفته العقليّة عن المبدإ الأوّل على هٰذا المقدار، ولٰكنّه يعدّ تقدّمًا علميًّا وسموًّا عن التعلّق والدوران في عالم الأجسام والمتحرّكات.

كما أنّ لمعطيات علم العقيدة ونتائجه أثرًا بالغًا في العلوم العمليّة، وتأسيس ما يسمّى بالآيديولوجيا، وهٰذا نتعرّض إليه فيما سيأتي إن شاء الله.

دور العقل في بناء الرؤية العقديّة

لا بدّ مــن الالتفات هنــا إلى أنّ لكلٍّ من الديــن والعقــل دورًا مهمًّا في بناء الرؤية الكونيّة والعقديّة للإنســان، وما يترتّب عليها من آيديولوجياتٍ، فالمهمّة الأساســيّة الّتي يقوم بها الدين الحقّ هي هداية النــاس إلى المعتقدات الحقّة، الّتي من أهمّها توحيد الخالق جــلّ وعلا، ونبذ الشرك على مختلف ألوانه، وذٰلك بتنبيه العقل وإرشــاده إلى البراهين الفطريّة الدالّة على وجود الله وتوحيده وبقيّة العقائد

الأساســيّة، كما أنّ للخطاب الدينيّ الدور الكبير والمهمّ في ملء المنطقة الّتي يعجز عــن إدراكها العقل، وهي منطقة العقائد الجزئيّة، كتشــخيص مرجع الأمّة بعد رحيل النبيّ، وحال الإنسان بعد الموت، ومواقف البرزخ والقيامة وما شابه ذٰلك، وعادةً ما يكون لها الأثر البالغ في تحقــق الهداية العامّة والدافع القويّ لدفع الناس للتعبّد بالأحكام والتوجيهات الشرعيّة.

وأمّا العقل فله دورٌ مهمٌّ في إثبات أســس العقائد الكلّيّة، كإثبات وجود الخالق وتوحيده وصفاته وأفعاله، وإثبات النبوّة والإمامة وشرائطها ووجوب المعاد، بنحوٍ مفصّلٍ ومعمّقٍ، وله دورٌ في إثبات الأسس الكلّيّة والمباني العامّة للأخلاق والسلوك العمليّ، وهٰــذا له أهمّيّةٌ كبرى في البناء المعرفيّ الاعتقاديّ للناس، وتحصينهم عن الشــبهات والتشكيكات الّتي قد تطرأ من هنا أو هناك، فإنّ من عرف عقيدته على هٰذا النحو يصعب تسرّب الشبهات والشكوك إليه مهما كان مصدرها.

فلا شــكّ في أنّ هناك علاقةً وثيقــةً ومتبادلةً بين العقــل والدين، فكلاهما يؤدّيان دورًا مهمًّا في بناء المعرفة الإنســانيّة بركنيها المعرفيّ والآيديولوجيّ؛ إذ إنّهما يعدّان القناتين المعرفيّتين المهمّتين للإنســان في هٰذا المجال، وقد أكّدت الشريعة المقدّســة عليهما كثيرًا، فــفي الرواية عن الإمام الكاظم أنّه قال: «يا هشــام، إنّ لله على الناس حجّتين: حجّةً ظاهرةً وحجّةً باطنةً، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة ، وأمّا الباطنة فالعقول» [الكلينيّ، الكافي، ج1، ص 16].

مدخليّة العلوم المعرفيّة في بناء الرؤية العقديّة

إنّ للعلوم المعرفيّة مدخليّةً كبيرةً في بناء العقيدة الّتي يحملها الإنسان وتحديد طبيعتهــا، فالمنطق منها يبحث عــن القواعد العامّة للتفكــير الصحيح، ويعلم الإنسان طرق الاستدلالات وشرائطها، فيعلّمه ذٰلك كيف يسلك أفضلها، ويعلّمه كذٰلك المغالطات وأصنافها وأسبابها؛ ليتجنّب الوقوع فيها، وهي حاجةٌ تعمّ جميع العلوم العقديّة وغيرها.

وأمّـا علم المعرفة، فلمّـا كان يبحث عن المناهج المعرفيّـة وحجّيّتها وحدود حجّيّتهـا، ومقدار المعرفة الّتي تسـتحصل عن طريقها، وهٰـذا له أهمّيّةٌ كبيرةٌ لتوضيح الطريق أمام الباحث عن العقيدة الحقّة، في تحديد المنهج الّذي يسلكه في طريق البحث، وإلى أيّ حدٍّ يمكـن أن يوصله هٰذا المنهج، وتعيين أيّ منهجٍ يتّبع بعد الوصول إلى حدود دائرة المنهج الأوّل، وتعيين الحلّ عند التعارض بين معطيات المناهج المختلفة في مسألةٍ واحدةٍ.

والعلوم المعرفيّة تحدّد الدرجة المعرفيّة الّتي تستحصل عن طريق المناهج المختلفة، أي: هل هي على نحو القطع واليقين، وهل هو يقينٌ خاصٌّ أو عامٌّ، أو بدرجة الاطمئنان أو الظنّ الضعيف، فيترتّب ذهن الإنسان ويعرف ما يقدّم وما يؤخّر.

مدخليّة العلوم الطبيعيّة في بناء الرؤية العقديّة

إنّ المتخصّص في العلوم الطبيعيّة ـ كالفيزيـاء أو الكيمياء أو الفلك والطبّ وغيرها ـ أكثر وقوفًا واطّلاعًا على أسرار هٰذا الكون المحسوس بالنسبة إلينا، يطّلع على الكثير من أنظمته وقوانينه وحيثيّاته؛ ولهٰذا يمكن له من خلال التفكّر في هٰذا العالم أن ينفذ منه إلى عالم الغيـب، وفي كثيرٍ من الآيات المباركة نجد أنّ القرآن يرشد الإنسـان إلى التفكّر في الخلق للوصول إلى الإيمان بالخالق له، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: 190]، وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: 20 و21].

وقد سـار على ذٰلك في الماضي الكثير من نوابغ الإنسانيّة، فأرسطو ـ مثلًا ـ عندما كان يبحـث في الطبيعيّات، ولاحظ أنّ كلّ الموجودات المادّيّة في هٰذا العالم تتحرّك ـ والحركة هنا بالمعنى الفلسـفيّ وهي مطلق التغيّر والخروج من القوّة إلى الفعل، سـواءٌ كانت أينيّةً أم وضعيّةً، في الكمّ أم في الكيـف ـ فإنّه حاول أن يخرج عن عالم الطبيعة بنوعٍ من الاستدلال العقليّ بالاعتماد على تلك الحركة، وذٰلك باعتبار

أنّ موجودات هٰذا العالــم لمّا كانت تتحرّك فهي تحتاج إلى محرّكٍ، ومحرّكها إن كان يتحرّك فهو أيضًا يحتاج إلى محرّكٍ وهٰكــذا إلى أن ننتهي بالمحرّك الّذي لا يتحرّك، وسمّي بالمحرّك الأوّل، وهو خارجٌ عن عالم الطبيعة؛ وذٰلك لأنّه لا يتحرّك، وبحث أرســطو ذٰلك في الجزء الثامن من (السماع الطبيعيّ)، وكذٰلك في (ما بعد الطبيعة) [ظ: ابن رشــدٍ، تفســير ما بعد الطبيعة، مفــرّقٌ في فصول الكتاب]، وقــد تبعه في ذٰلك القسّ الكاثوليــكيّ الإيطاليّ توما الأكويــنيّ (Thomas Aquinas)، إذ جعل برهان الحركة المنهج الأوّل من مناهجه الخمســة الّتي ذكرها في الخلاصة اللاهوتيّة لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى [ظ: الأكوينيّ، الخلاصة اللاهوتيّة، ج1 ص 32]، وكذا المتكلّمون الّذين اعتمــدوا على الحدوث في إثبات وجود الله ـ ســبحانه ـ بعنوان المحدّث الّذي لا محدث له، فهم أيضًا اعتمدوا على الحركــة في حدوث العالم، يقول صدر المتألّهين الشــيرازيّ: «وأمّا المتكلّمون فطريقتهم تقرب من طريقــة الطبيعيّين المبتنية على الحركة؛ لأنّ طريقتهم تبتني على الحدوث، قالوا: إنّ الأجســام لا تخلو عن الحركة والســكون، وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادثٌ، فالأجســام كلّها حادثةٌ، وكلّ حادثٍ مفتقرٌ إلى محدثٍ، فمحدثها غير جســمٍ و لا جســمانيٌّ، و هو البارئ ـ جلّ ذكره ـ دفعًا للدور والتسلسل. وهٰذا أيضًا مسلكٌ حسنٌ؛ لأنّا قد بيّنّا أنّ تجدّد الحركات يرجع إلى تجدّدٍ في ذوات المتحرّكات، وأنّ حامل قوّة الحدوث لا بدّ أن يكون أمرًا مبهم الوجود، متجدّد الصور الجوهريّة، والأعراض تابعةٌ في تجدّدها وثباتها للجوهر، فالعالم الجســمانيّ بجميع ما فيه زائلةٌ داثرةٌ في كلّ آنٍ فيحتاج إلى غيرها» [صدر المتألّهين، الأسفار، ج 6، ص 47].

ونحن هنا لسنا في صدد تقييم ما ذكره أرسطو أو من تبعه في هٰذا الباب، بل مجرّد الإشــارة إلى أنّ هناك محاولةً جادّةً منه للخروج عن عالم الطبيعة وفتح نافذةٍ على عالم الغيب (ما بعد الطبيعة).

وكذٰلــك هناك برهانٌ اعتمد عليه المتكلّمون كثــيرًا من مختلف الأديان، وهو يعتمد على مقدّمةٍ حسّيّةٍ تنطلق من ملاحظة الطبيعة، وهي قضيّة وجود النظام بين

أجــزاء عالم الطبيعة، لينفذ منه العقل إلى القول بوجود منظِّمٍ لهٰذا العالم، له علمٌ وحكمةٌ وقدرةٌ تتناســب مع دقّة هٰذا النظام، ويسمّى هٰذا البرهان ببرهان النظم، يقول الشيخ سبحاني: «يبتني هٰذا البرهان أساسًا على دلالة النظام الدقيق الموجود في الكون، على وجود مبدعٍ عظيمٍ أبدعه، بحكمٍ عقليٍّ بوجود رابطةٍ منطقيّةٍ بين النظم ودخالة الشعور، وأنّ من الممتنع أن يكون النظم البديع وليد الصدفة أو خصوصيةٍ في المادّة... فعالم الوجود متشــكّلٌ من عالمي شهودٍ وغيبٍ، وقد تبيّن للإنسان جزءٌ من ذٰلك العالم المشــهود عن طريق التجربة وغيرها، وأمّــا العوالم الغيبيّة، فهي مغمورةٌ تحت عالم الشــهود، والطريق إليها هو بالتدبّر في الظاهر المشهود والعبور منه إلى الباطن: الإمعان في الجسم والتجاوز منه إلى الروح، ومطالعة مجموع الكون والانتقال منه إلى وجود خالقٍ مدبّرٍ» [سبحاني، نظريّة المعرفة، ص 261].

ومن هنا كان لا بدّ لعلماء العلوم الطبيعيّة في مختلف التخصّصات الأكاديميّة أن لا يقفوا عند معطيات تلك العلوم المحسوســة، فصحيحٌ أنّ تلك المعطيات هي المطلوبة لهم في تخصّصاتهــم وما يترتّب عليها من خدمــةٍ يقدّمونها لمجتمعاتهم وللإنســانيّة بشكلٍ عامٍّ، ولٰكن يمكن الاســتفادة منها كثيرًا كما فعل أسلافهم في فتح نوافذ عالم الغيب بمعونة العقل وقواعده البدهيّة اليقينيّة، والاستفادة منها في بناء الرؤية الكونيّة والعقديّة الّتي يحملونها، والدفاع عنها وترصينها، وردّ شبهات المنحرفين، فليس وجوب هٰذا الأمر منحصرًا في طلبة العلوم الدينيّة، بل لا بدّ لكلّ واحدٍ من تحمّل مسؤوليّته تجاه دينه وعقيدته من موقعه وتخصّصه.

تأثير طبيعة الرؤية العقديّة على العلوم العمليّة

إنّ لطبيعة الرؤية الكونيّة الّتي يحملها الإنســان والعقيدة الّتي يعتقدها تأثيرًا كبيرًا على طبيعة العمل والســلوك الّذي يســلكه في حياته، ولذٰلــك تتأثّر العلوم الّــتي تهتمّ بالجانب العمليّ من الفكر الإنســانيّ، والسرّ في ذٰلك يعود إلى أنّ الفعل الاختياريّ للإنســان يعتمد على مجموعة عللٍ مترتّبةٍ طــولًا، أوّلها صورةٌ علميّةٌ

لقضيّةٍ عمليّةٍ جزئيّةٍ، متعلّقةٌ بحسن الفعل الخاصّ وضرورة أدائه أو قبحه وضرورة تركه، يدركها العقل العمليّ(*) ويستنبطها من ما يحمله العقل النظريّ من حكمةٍ عمليّةٍ مستلّةٍ ومترشّحةٍ من الرؤيّة الكونيّة والعقديّة الّتي يحملها الإنسان، ويليها ما يسمّى بقوّة الشوق وهي تترشّح وتوجد من القوى المدركة السابقة عليها، وهي إمّا تكون شوقًا نحو طلب أداء الفعل، وهو عندما يحصل إدراك ملائمة ذٰلك الفعل لكونه لذيذًا أو نافعًا، وتسمّى عندها شهوةً، أي تحصل في النفس شهوةٌ نحو ذٰلك الفعل، إمّا أن تكون شوقًا إلى الدفع نحو الترك والإحجام عن الفعل، وهي تكون عند إدراك منافاة في الفعل أو الشيء المكروه والضارّ، وتسمّى غضبًا، فالرئيس في القوّة المحرّكة هو هٰذه القوة، تليها قوّة الإجماع وهو العزم الّذي يتعيّن بعد التردّد في الفعل أو الترك، وهو ما يسمّى بالإرادة أو الكراهة، وهٰذه القوّة تختلف عن قوّة الشوق؛ لأنّ الإنسان قد يريد تناول ما لا يشتهيه كالدواء المرّ للعلاج، وقد يكره تناول ما يشتهيه، كالسكّر بالنسبة للمصاب بداء السكّريّ، وبعد وجود هٰذا الإجماع يترجّح أحد الطرفين إمّا الفعل أو الترك، بعد أن كانا متساويين بالنسبة إلى القادر عليهما، ثمّ تنبعث قوّةٌ في العصب والعضلات لتحرّك الأعضاء نحو أداء الفعل [ظ: الطوسيّ، شرح الإشارات والتنبيهات، ج 2، ص 411 و412].

وإلى هٰذا الأمر أشارت بعض الأحاديث الواردة عن أئمّة أهل البيت ، فمثلًا يقول أمير المؤمنين في وصيّته لكميل بن زيادٍ: «يَا كُمَيْلُ، مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إلى مَعْرِفَةٍ» [الحرّانيّ، تحف العقول، ص 171].

(*) هٰذا بناءً على المشهور عند الحكماء من كونه قوّةً مدركةً ومدبّرةً للبدن، وهو إنّما يدرك القضايا الجزئيّة العمليّة، الّتي يصحّ وقوعها مبدأً للحركة؛ إذ إنّ القضيّة الكلّيّة - كحسن العدل - لا يتولّد عنها حركةٌ وانبعاثٌ إلى الفعل، نعم مثل قضيّة هٰذا الفعل الخاصّ عدلٌ فهو حسنٌ ينبغي فلعله، يصح وقوعه مبدأً للفعل الإراديّ.

وعن حسينٍ الصيقل قال: «سَمِعْتُ لِبَا عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِعَمَلٍ فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، لِلا إِنَّ الْإِيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ» [الكلينيّ، الكافي، ج1، ص 44].

ولا شكّ في أنّ تحديد حسن الأفعال أو قبحها يعتمد على مبادئ علميّةٍ يحملها الإنســان، تســمّى بمجموعها بالآيديولوجيا، أو ما ينبغي أن يكون، وهي تعتمد بالدرجة الأساس على طبيعة الرؤية الكونيّة والعقديّة الّتي يحملها الإنسان.

فالإنسان الّذي يحمل رؤيةً كونيّةً إلحاديّةً تنفي وجود إلٰهٍ خالقٍ للكون، ويعتقد بأنّ حدود الموجودات بحدود المادّة، سيكون الجانب العمليّ عنده متأثّرًا بهٰذه النظرة لا محالة، وتحســن عنده الأفعال والســلوكيّات الّتي تحافظ على الجانب المادّيّ من الإنسان من الراحة، وتفعيل الشهوات البدنيّة وما إلى ذٰلك.

وهٰكذا مــن يؤمن بالدين، ولكن يعتبره مجرّد نظامٍ يحدّد حركة الإنســان تجاه ربّه، وتفعيل العلاقة بينه وبين خالقه، ولا علاقة للدين ببقيّة الســلوكيّات الّتي تحكم حركة الإنسان على الأرض، وتحدّد طبيعة علاقته مع بقيّة أبناء نوعه كأفرادٍ أو جماعات ودولٍ وبلدانٍ، وهو ما قد يســمّى بالمذهــب العلمانيّ، الّذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة والسياســة؛ فإنّ مثل هٰذه الرؤية سوف تؤثّر تأثيرًا كبيرًا في الجانب العمليّ والسلوكيّ عنده، وربما سيختار دائمًا أن تكون العلاقات مبنيّةً على المصالح المشتركة حصرًا.

وأمّا الإنسان الّذي يحمل رؤيةً كونيّةً إلٰهيّةً تثبت وجود إلٰهٍ خالقٍ ومدبّرٍ للكون، بعث الرســل والأنبياء ليهدوا الناس إلى طريق الحقّ، وهــو طريق الكمال اللائق بالإنســان، فالأمر يختلف بالنســبة إليه كثيرًا؛ إذ إنّ الحكمــة العمليّة عنده أو الآيديولوجيا الّتي تحكم ســيره وســلوكه في الحياة لا بدّ أن تمثّل انعكاسًا لما يحمله من عقيــدةٍ، وبالتالي تكون مبتنيةً على التعاليم والاعتبــارات الشرعيّة الّتي كان مصدرها الإلٰه المدبّر له.

الخاتمة

بعــد أن تمّ البحث ووصلنا إلى ختامه لا بدّ لنا أن نلخّص مجموعة النتائج الّتي توصّلنا إليها من خلاله، وهو ما يمكن أن يلخّص لنا البحث ويســهّل على القارئ الكريم الاستفادة منها:

أوّلًا: أنّ العلوم الّتي يتعلّمها الإنسان ويحملها، تشكّل منظومةً معرفيّةً، أي أنّها مترابطةٌ بنحوٍ من الترابط المعرفيّ، ولها ترتّــبٌ طبيعيٌّ فيما بينها، فبعضها متقدّمٌ وبعضها متأخّرٌ، وإنّ إدراك هٰذا الترتّب والنظام له فائدةٌ كبيرةٌ بالنسبة للدارسين؛ إذ يمكــن لهم أن يعرفوا تخصّصهم في أيّ رتبــةٍ يقع ضمن هٰذه المنظومة، وبالتالي يستطيع أن يحدّد العلوم الّتي تسبق التخصّص الّذي يدرسه والعلوم الّتي تلحقه.

وهٰــذا الأمر ينفع الباحث في معرفة مواضع أخــذ مقدّمات تخصّصه كأصول موضوعة، وأيّ العلــوم الّتي يهيّئ تخصّصه أصولها الموضوعــة، إذ إنّ العلوم لمّا تطوّرت وتشــعّبت أصبح من الصعب على شخصٍ واحدٍ أن يلمّ بكلّ التخصّصات ليكون موسوعةً علميّةً كما كان قد يحدث في السابق، فأصبح من اللازم أن يختار تخصّصًــا منها ليبدع فيه، ولٰكن لأجل أن يكــون واقعيًّا في أبحاثه لا بدّ أن يأخذ مقدّمات بحثه ممّن يعتمد عليه في التخصّصات الّتي تسبقه، ويعطي نتائج تخصّصه لأصحــاب التخصّصات الّتي تلحقه، ولا يتدخّل هو في تعيين ما يســبق تخصّصه ونتائج ما يلحقه؛ لأنّه عملٌ غير تخصّصيٍّ، وقد لا يؤدّي إلى نتيجةٍ واقعيّةٍ.

ثانيًــا: أنّ هناك من العلوم ما ينبغي لــكلّ الباحثين على مختلف تخصّصاتهم أن يتعلّموهــا ويجيدوها؛ لأنّ لهــا نفعًا عامًّا في كلّ تلــك التخصّصات، وهي العلوم المعرفيّة.

ثالثًا: أنّ جميع العلوم بحســب طبعها تمثّل كمالًا للإنسان، وتدخل في تحصيل راحته وســعادته، ولٰكن قد توجّه وتســتعمل من قبل الأشرار والظلمة في تحقيق أطماعهم وغاياتهم، فيكون أثرها عكسيًّا على سعادة الإنسان.

رابعًا: أنّ علم العقيدة يمثّل أشرف العلوم وســـنامها؛ إذ إنّ البحث فيه يتعلّق بأشرف معلومٍ وهو الخالق والصانع لهٰذا العالم بكلّ ما فيه، هٰذا من حيث الثبوت والواقــع، وربّما يتأخّر البحث في العقيدة ـ أي من الناحية الإثباتيّة ـ بعد معرفة مجموعــةٍ من العلوم باعتبار أنّها تثبت بعض مقدّمات مســـائل العقيدة، كالعلوم المعرفيّة والطبيعيّة.

إنّ الرؤية الّتي يخرج الإنســـان بها لها أثرٌ كبيرٌ على نمط حياته وتحديد مصيره، فلا بدّ لكلّ إنسانٍ ـ ومهما كان تخصّصه ـ أن يتعلّم الطريق الّذي يمكن أن يسلكه للخـــروج من موضوع تخصّصه إلى البحث عن الخالق بنحوٍ علميٍّ موضوعيٍّ، كما هو المتعارف عند أصحاب العلوم والصناعات العلميّة، فإذا توصّل إلى إثباته جعل من تخصّصه طريقًا ومنارًا للآخرين لتعزيز هٰذا الأمر وإثباته في قلوب الناس، وأن لا يبقى يدور في فلك موضوع تخصّصه، ولا يعرف شيئًا غيره.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضيّ من كلام سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ ، شرح: محمد عبده، نشر: دار المعرفة، لبنان ـ بيروت.

1. ابن رشدٍ، تفسير ما بعد الطبيعة، بيروت، منشورات الحكمة، 1990.
2. ابن سينا، أبو عليٍّ الحسين بن عبد الله، إلهيّات الشفاء، قم المقدسة، مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، 1368ش.
3. ابن سينا، أبو عليٍّ الحسين بن عبد الله ، التعليقات، قمّ المقدسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1419.
4. ابن سينا، أبو عليٍّ الحسين بن عبد الله، عيون الحكمة، بيروت، دار القلم، 1423.
5. ابن منظورٍ، جمال الدين محمّد بن مكرمٍ، لسان العرب، قم المقدسة، أدب الحوزة، 1379.
6. الاسترابادي، محمدجعفر، البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة، قم المقدسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1425.
7. الأكويني، توما، الخلاصة اللاهوتيّة، بيروت، ترجمه إلى العربيّة الخوريّ بولص عواد، المطبعة الأدبيّة، بيروت، 1887.
8. الجرجانيّ، عليّ بن محمّدٍ، كتاب التعريفات، طهران، ناصر خسرو ، ط 4، 1369.
9. الحرّانيّ، الحسن بن عليّ بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ، قم المقدسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط 2، 1380.
10. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، تاج اللغة وصحاح العربيّة، بيروت ، نشر: دار العلم للملايين، ط 1، 1999.

11. الحلّيّ، حسن، كشــف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مع تعليقات آية الله حسن زاده آملي، قم المقدسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط 4، 1374.

12. الرازيّ، فخر الدين، شرح عيون الحكمة للشــيخ الرئيس، قم المقدســة، مؤسّسة الإمام الصادق، 1381 ش.

13. سبحاني، جعفر، نظريّة المعرفة، تقرير: حسن مكي العاملي، قم المقدسة، مؤسّسة الإمام الصادق 1385 ش.

14. الشيرازيّ، صدر الدين محمّد، الحاشية على إلٰهيّات الشفاء، قم المقدسة، منشورات بيدار، 1376 ش.

15. الشيرازيّ، صدر الدين محمّدٌ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، بيروت، دار إحياء التراث، 1992.

16. صليبا، جميل، المعجم الفلسفيّ، قم المقدسة، ذوي القربى، ط 1، 1388 ش.

17. الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، طهران، مرتضوي، ط 2، 1379 ش.

18. الطوسيّ، نصير الدين، شرح الإشــارات والتنبيهات مع المحاكمات، قم المقدسة، البلاغة، 1380 ش.

19. الفراهيــديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، قم المقدســة، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط 2، 1388 ش.

20. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إســحاق، الكافي، طهران، دار الكتب الإســلاميّة، ط3، 1373 ش.

21. المجلــسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبــار الأئمّة الأطهار، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ط 2، 1989.